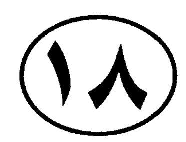
قصص الأنبياء للأطفال



دَاوُدُ

(عَلَيْهِ السَّلَامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع

الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال
(داود) عليه السلام
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقــوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكي عبد العاطي
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس ـ القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

أَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِى فِلَسْطِينَ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِمْ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَاحْتَفَظُوا بِتَابُوتٍ ضَخْمٍ فِيهِ بَقَايَا أَلْوَاحِ مُوسَى .

وَكَانَ هَذَا التَّابُوتُ بَرَكَةً لَهُمْ يَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، فَحِينَ يَدْخُلُونَ حَرْبًا يَضَعُونَهُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ فَيَحْدُثُ النَّصْرُ بِإِذْنِ اللّٰهِ .

مَرَّتْ سَنَوَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَجَاءَتْ أَجْيَالٌ جَدِيدَةٌ ، وَنَسِىَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْعُمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَكْثَرُوا الْفَسَادَ وَنَشَرُوا الظُّلْمَ وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ ، وَاشْتَكَتْ أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الطَّاهِرَةُ إِلَى رَبِّهَا مِنْ جَرَائِمِهِمْ . ازْدَادَ الْقَوْمُ كُفْرًا وَعِنَادًا ، وَظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مَا دَامَ تَابُوتُ مُوسَى مَعَهُمْ .

أَرْسَلَ اللّٰهُ تَعَالَى الْكَثِيرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِمْ ، لَكِنَّهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَعَصَوْهُمْ ، وَقَتَلُوا عَدَدًا كَبِيرًا مِنْهُمْ ، وَازْدَادُوا تَمَرُّدًا وَكُفْرًا وَصَاحُوا فِى عِنَادٍ :

لَنْ يَهْزِمَنَا أَحَدٌ مَا دَامَ التَّابُوتُ مَعَنَا

اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ تَعَالَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْكَنْعَانِيِّينَ ، فَانْقَضُّوا عَلَيْهِمْ بِشَرَاسَةٍ .

حَمَلَ بَنُو إسْرَائيلَ تَابُوتَ مُوسَى ، وَوَضَعُوهُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الجَيْشِ ، وَانْتَظَرُوا أنْ تَنْتَهِيَ المعْرَكَةُ بانْتِصَارِهِمْ ، لَكِن الكَنْعَانِيِّينَ انْقَضُّوا عَلَيْهِمْ كَالنُّسُورِ الخَاطِفَةِ ، فَمَزَّقُوهُمْ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى التَّابُوتِ ، وَاقْتَحَمُوا بَيْتَ المقْدِسِ بَعْدَ أنْ فَرَّ بَنُو إسْرَائيلَ كَالفِئْرَانِ المذْعُورَةِ ، وَأصْبَحُوا بِلاَ وَطَنٍ وَلاَ تَابُوتٍ مُشَرَّدِينَ فِي الصَّحْرَاءِ.

أَقَامَ الهَارِبُونَ بَعِيداً عَنْ بَيْتِ المقْدِسِ يَنْدُبُونَ حَظَّهُمْ نَادِمِينَ عَلَى عِصْيَانِهِمْ وَلَجَئُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِالدُّعَاءِ كَيْ يُنْقِذَهُمْ مِنَ الذُّلِّ الذي ذَاقُوهُ ، وَرَفَعَت امْرَأَةٌ حَامِلٌ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ قَائِلَةً:

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلَداً صَالِحًا يَعْبُدُكَ.

وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهَا ، وَوَضَعَتْ وَلِيداً أَسْمَتْهُ صَمُوئِيلَ ، وَاعْتَنَتْ بِهِ حَتَّى كَبُرَ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْهُ إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ ، فَعَلَّمَهُ دِينَ اللهِ ، وَأَصْبَحَ صَمُوئِيلُ أَتْقَى رَجُلٍ فِي بَنِي إسْرَائيلَ.

أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى صَمُوئِيلَ وَأَمَرَهُ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ وَهِدَايَتِهِمْ. أَسْرَعَ الرجُلُ إِلَى بَنِي إسْرَائيلَ ، وَوَعَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ بِأنْعُمِ اللهِ التي ضَيَّعُوهَا ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ رَبِّهِمْ لِيَرْضَى عَنْهُمْ وَيَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَيَرُدَّ إِلَيْهِمْ وَطَنَهُمْ.

بَكَى الْقَوْمُ وَتَسَاءَلُوا: كَيْفَ نَنْتَصِرُ عَلَى أَعْدَائِنَا وَقَدْ ضَاعَ مِنَّا تَابُوتُ مُوسَى؟

قَالَ صَمُوئِيلُ: اللهُ هُوَ الذى يَنْصُرُكُمْ وَلَيْسَ تَابُوتُ مُوسَى، فَالتَّابُوتُ جَمَادٌ لاَ قُدْرَةَ لَهُ.. أنَسِيتُمْ أنَّكُمْ حِينَ عَصَيْتُمْ رَبَّكُمْ هَزَمَكُمُ الأعْدَاءُ وَسَلَبُوا التَّابُوتَ مِنكُمْ، لماذَا لَمْ يُنْقِذكُمُ التَّابُوتُ أو يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ؟!

تَسَاءَلَ الْقَوْمُ: كَيْفَ نُحَارِبُ أعْدَاءَنَا، وَنَحْنُ مُتَفَرِّقُونَ لاَ مَلِكَ لَنَا؟... اخْتَرْ لَنَا مَلِكًا يُوحِّدُ صُفُوفَنَا، وَيَجْمَعُ كَلِمَتَنَا حَتَّى نُقَاتِلَ أعْدَاءَنا، وَنَسْتَرِدَّ وَطَنَنَا المفْقُودَ.

قَالَ صَمُوئِيلُ: أخْشَى أنْ يَأْمُرَكُمُ اللهُ بِقِتَالِ الأعْدَاءِ فَتَعْصُوا أمْرَهُ.

صَاحَ الْقَوْمُ: كَيْفَ نَهْرُبُ مِنَ القِتَالِ فِى سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ طَرَدَنَا الأعْدَاءُ مِنْ وَطَنِنَا وَقَتَلُوا أهْلَنَا، وَاسْتَوْلَوا عَلَى بُيُوتِنَا وَأمْوَالِنَا وَأرَاضِينَا.

لَجَأَ صَمُوئِيلُ إلَى رَبِّهِ وَدَعَاهُ فَأوْحَى إلَيْهِ بِأنْ يَجْعَلَ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَى بَنِى إسْرَائِيلَ.

أسْرَعَ النَّبِىُّ إلَى قَوْمِهِ، وَبَشَّرَهُمْ بِأمْرِ رَبِّهِمْ، فَقَالُوا:

طَالُوتُ! إنَّهُ فَقِيرٌ.. لَنْ نَرْضَى بِهِ مَلِكًا عَلَيْنَا.

وَصَاحَ كِبَارُ القَوْمِ: كَيْفَ يُصْبِحُ طَالُوتُ مَلِكًا عَلَيْنَا، وَنَحْنُ أحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ.

قَالَ صَمُوئِيلُ غَاضِبًا : إِنَّ اللهَ اخْتَارَهُ مَلِكًا عَلَيْكُمْ ، وَزَادَهُ عِلْماً وَقُوَّةً ، وَاللهُ يُعْطِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ.

صَاحَ الْقَوْمُ : كَيْفَ نُصَدِّقُ أَنَّ اللهَ اخْتَارَهُ لَنَا مَلِكًا ؟ أَرِنَا مُعْجِزَةً تُثْبِتُ صِدْقَ كَلاَمِكَ.

قَالَ صَمُوئِيلُ : أَتَرْضَوْنَ بِطَالُوتَ مَلِكًا إِنْ رَأَيْتُمْ مُعْجِزَةً ؟

قَالُوا : نَرْضَى.

لَجَأَ صَمُوئِيلُ إِلَى رَبِّهِ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ ، وَحِينَ فَرَغَ عَادَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : سَيَرُدُّ اللهُ إِلَيْكُمُ التَّابُوتَ.

تَسَاءَلَ الْقَوْمُ : التَّابُوت كَيْفَ ؟

قَالَ صَمُوئِيلُ : سَتَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَتُحْضِرُهُ إِلَيْكُمْ.

صَاحَ الْقَوْمُ مَذْهُولِينَ : التَّابُوتُ ! تُحْضِرُهُ الملائِكَةُ إِلَيْنَا ؟

قَالَ صَمُوئِيلُ : نَعَمْ.. هَكَذَا أَخْبَرَنِي رَبِّي.

لَمْ يُصَدِّقِ الْبَعْضُ مَا سَمِعُوهُ ، بَيْنَمَا سَخِرَ آخَرُونَ مِنْ كَلاَمِ النَّبِيِّ وَاتَّهَمُوهُ بِالْكَذِبِ ، لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ إِلاَّ وَرَأَى الْقَوْمُ تَابُوتَ مُوسَى مُسْتَقِرًا أَمَامَهُمْ عَلَى الأَرْضِ.

صَاحَ الْقَوْمُ : رَضِينا بِطَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْنَا.

تَوَلَّى طَالُوتُ مُلْكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَشَرَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ ، وَنَظَّمَ

صُفُوفَهُمْ ، وَدَرَّبَهُمْ عَلَى فُنُونِ القِتَالِ ، فَأَصْبَحَ لَهُمْ جَيْشٌ قَوِيٌّ يَهَابُهُ الأَعْدَاءُ.

اصْطَحَبَ النبيُّ جَيْشَهُ وانْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ لِخَوضِ مَعْرَكَةِ التَّحْرِيرِ ، وَفِي الطَّرِيقِ قَالَ طَالُوتُ لِجُنُودِهِ:

جَيْشُ عَدُوِّنَا قَوِيٌّ ، وَعَدَدُهُ كَبِيرٌ ، ولِذَلِكَ فَلاَ بُدَّ أَنْ تُطِيعُونِي وَلاَ تَعْصُوا أَمْرِي حَتَّى يَتَحَقَّقَ النَّصْرُ بِإِذْنِ اللهِ.

خَشِيَ طَالُوتُ أَنْ يَعْصِيَهُ جُنُودُهُ ، فَيَهْرَبُوا أَثْنَاءَ المَعْرَكَةِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى لَهُمْ اخْتِبَارًا لِيَتَأَكَّدَ مِنْ طَاعَتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ: سَنَجِدُ نَهْرًا فِي الطَّرِيقِ فَلاَ تَشْرَبُوا مِنْهُ.

تَسَاءَلَ الْقَوْمُ: ماذَا نَفْعَلُ إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الْعَطَشُ؟

قَالَ طَالُوتُ: تَذَوقُوا قَلِيلاً مِنَ المِيَاهِ ، وَلاَ تَشْرَبُوا حَتَّى تَشْبَعُوا.

سَارَ الجُنُودُ مَسَافَةً طَوِيلَةً فِي صَحْرَاءِ فِلَسْطِينَ تَحْتَ الشَّمْسِ المُحْرِقَةِ ، وَاشْتَدَّ بِهِمُ العَطَشُ ، وَحِينَ رَأَوُا النَّهْرَ انْدَفَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ نَحْوَهُ يَشْرَبُونَ بِشَرَاهةٍ ، بَيْنَمَا أَطَاعَ الْمُؤْمِنُونَ كَلاَمَ مَلِكِهِمْ فَتَذَوقُوا قَلِيلاً مِنَ المِيَاهِ.

صَاحَ طَالُوتُ فِي وَجْهِ العُصَاةِ: ارْحَلُوا عَنَّا وَلاَ تَصْحَبُونَا .. لاَ مَكَانَ لِعَاصٍ بَيْنَنَا ، نَكَّسَ العُصَاةُ رُءُوسَهُمْ فِي الأَرْضِ ، وَتَسَمَّرُوا

فِى أَمَاكِنِهِمْ ، بَيْنَمَا انْطَلَقَ النبىُّ بِالْقِلَّةِ الْمُتَبَقِّيَةِ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

قَطَعَ الْجُنُودُ مَسَافَةً طَوِيلَةً ، وَحِينَ اقْتَرَبُوا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَسَلَّلَ الْخَوْفُ إِلَيْهِمْ . وَتَسَاءَلَ أَحَدُهُمْ : جَيْشُنَا قَلَّ عَدَدُهُ يَا نَبِىَّ اللهِ ، فَأَصْبَحْنَا بِضْعَ مِئَاتٍ بَعْدَ أَنْ كُنَّا آلافًا كَثِيرَةً .

وَقَالَ آخَرُ : لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ إِلْحَاقِ الْهَزِيمَةِ بِعَدُوِّنَا ، فَجَيْشُهُ كَبِيرٌ جِدًّا .

وَقَالَ ثَالِثٌ : مَلِكُهُمْ جَالُوتُ جَبَّارٌ ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى هَزِيمَتِهِ .

صَاحَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾
[البقرة : الآية ٢٤٩]

وَقَالَ طَالُوتُ : اللهُ مَعَنَا ، وَسَيَنْصُرُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

وَتَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ ، فَأَحَسَّ الْمُؤْمِنُونَ بِالْخَطَرِ الشَّدِيدِ حِينَ رَأَوا جَيْشَ جَالُوتَ الضَّخْمَ ، فَقَالُوا : ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة :الآية ٢٥٠]

وَقَفَ جَالُوتُ فِى سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ ، وَصَرَخَ بِغُرُورٍ : مَنْ يُبَارِزُنِى ؟ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى جَالُوتَ الْجَبَّارِ ؟

الْتَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الصَّمْتَ خَوْفًا مِنْ جَالُوتَ ، وَنَكَّسُوا رُءُوسَهُمْ فِى الْأَرْضِ خَجَلاً مِنْ طَالُوتَ .

صَاحَ طَالُوتُ مُحَرِّضًا جُنُودَهُ: مَنْ قَتَلَ جَالُوتَ، زَوَّجْتُهُ ابْنَتِى، وعَيَّنْتُهُ فى مَنْصبٍ كَبِيرٍ، وأَشْرَكْتُهُ فى الحُكْمِ. انْدَفَعَ فَتًى مِنْ مُؤَخِّرَةِ الجَيْشِ يَشُقُّ الصُّفُوفَ، وتَقَدَّمَ إلَى سَاحَةِ المُبَارَزَةِ صَائِحًا:

أَرْجُوكَ يَا مَوْلاَىَ الملكَ.. دَعْنِى أَقْتُلُ جَالُوتَ.

تَسَاءَلَ طَالُوتُ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الفَتَى؟

قَالَ الفَتَى: دَاوُدُ بْنُ إِيشَا.. أَرْمِى بالْمقلاعِ بِمَهَارَةٍ شَدِيدَةٍ، فلاَ أُخْطِىءُ الهَدَفَ.. دَعْنِى أَنْتَقِمُ مِنْ ذَلِكَ الكَافِرِ.

تَلَفَّتَ طَالُوتُ إلَى جُنُودِه، فَلَمْ يَرَ سِوَى أَجْسَامٍ تَرْتَجِفُ خَوْفًا، وَرءُوسٍ مُنْكَسِرةٍ فِى الأَرْضِ خَجَلاً، وأَفْوَاهٍ صَامِتَةٍ لاَ تَنْطِقُ.

قَالَ دَاوُدُ: أَرْجُوكَ يَا مَوْلاَىَ، لاَ تَحْرِمْنِى هَذَا الشَّرَفَ الكَبِيرَ.

وَلَمْ يَجِدْ طَالُوت بُدًّا مِنْ تَحْقِيقِ رَغْبَةِ الفَتَى دَاوُدَ بَعْدَ أَنْ خَذَلَهُ كِبَارُ بَنِى إِسْرَائِيلَ. اقْتَرَبَ دَاوُدُ مِنْ جَالُوتَ الذى نَظَرَ إِلَيْهِ باسْتِهَانَةٍ وَصَاحَ:

ابْتَعِدْ يَا فَتَى، فَأَنْتَ ما زِلْتَ صَغِيرًا، وَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ.

قَالَ دَاوُدُ: لَكِنَّنِى أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ.

وَاشْتَدَّ غَضَبُ جَالُوتَ، فَرَفَعَ سَيْفَهُ فِى الْهَوَاءِ، وانْدَفعَ نَحْوَ دَاوُدَ الذى وَضَعَ حَجَرًا فِى مِقْلاَعِه، وَقَذَفَهُ بِسُرْعَةٍ.

انْطَلَقَ الْحَجَرُ بِقُوَّةٍ كَالرَّصَاصَةِ ، فَاخْتَرَقَ رَأْسَ جَالُوتَ ، وَقَضَى عَلَيْهِ فِى الْحَالِ .

هَتَفَ دَاوُدُ : اللّٰهُ أَكْبَرُ . . اللّٰهُ أَكْبَرُ .

وَانْدَفَعَ المؤْمِنُونَ يُكَبِّرُونَ ، وَانْقَضُّوا عَلَى جُنُودِ جَالُوتَ الذينَ فَرُّوا مَذْعُورِينَ بَعْدَ نِهَايَةِ مَلِكِهِمْ .

دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْتَ المقْدِسِ وَأَقَامُوا فِيهِ ، وَتَزَوَّجَ دَاوُدُ ابْنَةَ طَالُوتَ ، وَأَحَبَّهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَتَعَلَّقُوا بِهِ .

* * *

أَنْعَمَ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى دَاوُدَ ﴿ **وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ** ﴾ [البقرة :الآية ٢٥١]

وَتَوَلَّى دَاوُدُ مُلْكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ طَالُوت ، وَآتَاهُ اللّٰهُ النُّبُوَّةَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَ الزَّبُورِ ، فِيهِ حِكَمٌ وَمَوَاعِظُ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ .

وَعَمِلَ دَاوُدُ فِى صِنَاعَةِ الدُّرُوعِ الحَدِيدِيَّةِ التى يَرْتَدِيهَا الجُنُودُ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ ، وَجَعَلَ اللّٰهُ تَعَالَى الحَدِيدَ فِى يَدَيْهِ لَيِّنًا ، كَالْعَجِينِ يُقَطِّعُهُ وَيَطْوِيهِ دُونَ نَارٍ وَلاَ مِطْرَقَةٍ .

وَوَهَبَهُ الخَالِقُ صَوْتًا جَمِيلاً سَاحِرًا ، فَكُلَّمَا اسْتَغْرَقَ فِى التَّسْبِيحِ بِصَوْتِهِ الشَّجِىِّ أَصْغَى الْكَوْنُ إِلَيْهِ ، وَاحْتَشَدَتِ الطُّيُورُ

فى السَّمَاء ، وَمَالَت الجِبَالُ خُشُوعًا ، وَأَخَذَتْ جَمِيعُ المَخْلُوقَات تُسَبِّحُ مَعَهُ ، وتَبْكى خَوْفًا مِنْ رَبِّهَا وَتَسْتَغْفِرُهُ .

ازْدَادَ تَقَـرُّبُ دَاوُدَ مِنْ رَبِّه ، فَكَانَ يَقْضى مُعْظَمَ اللَّيْلِ فى الصَّلاَة ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَيُطْعِمُ المسَاكِينَ ، وَيَحْكُمُ بيْن النَّاس بالْعَدْل .

رَضِىَ اللهُ عَنْ دَاوُدَ ، وَرَزَقَهُ بطِفْلٍ جَميلٍ أَسْمَاهُ سُلَيْمَانَ ، وشَبَّ الطِّفْلُ مُطِيعًا لوَالدَيْه ، فَأَحَبَّهُ دَاوُدُ وَقَرَّبَهُ إلَيْه وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ فى مَجْلِسِ القَضَاء مَكَثَ دَاوُدُ فى بَنى إِسْرَائِيلَ ، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْل ، وَقَسَّمَ أَيَّامَهُ فَيَوْمًا يَتَفَرَّغُ فيه للْعِبَادَة ، وَيَوْمًا للْقَضَاء بيْنَ النَّاسِ وَحَلِّ مَشَاكِلِهِمْ ، وَيَوْمًا لوَعْظِ بَنى إِسْرَائِيلَ وَدَعْوَتِهِمْ .

وَفى أَحَد أيامِ العِبَادَة أَغْلَقَ دَاوُدُ بَابَهُ وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُول عَلَيْه وَاسْتَغْرَقَ فى الصَّلاَة .

أَقْبَلَ رَجُلان ، وَقَفَزَا مِنْ فَوْقِ سُورِ البَيْتِ ، وَدَخَلاَ غُرْفَةَ دَاوُدَ الذى فَزِعَ حِينَ رَآهُمَا .

قَالَ أَحَدُهُمَا : لاَ تَخَفْ . . جِئْنَا إِلَيْكَ لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا . . أخى يَمْلكُ تِسْعًا وَتِسْعينَ نَعْجَةً ، وَأَنَا لاَ أَمْلكُ سِوَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَرَادَ أَخِى أَنْ يَسْتَوْلِى عَلَى نَعْجَتى لِيُتِمَّ المائَةَ .

اشْتَدَّ غَيْظُ دَاوُدَ مِنَ الأَخِ الطَّمَّاعِ ، وَقَالَ : أَخُوكَ ظَالِمٌ ، لأَنَّهُ طَمِعَ فِى نَعْجَتِكَ ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا يَمْلِكُ .

وتَذَكَّرَ دَاوُدُ أَنَّ بَابَ بَيْتِهِ مُغْلَقٌ ، فَتَسَاءَلَ : كَيْفَ دَخَلْتُمَا ؟

وَحِينَئِذٍ اخْتَفَى الرَّجُلانِ ، فَأَدْرَكَ دَاوُدُ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ أَرْسَلَهُمَا اللهُ لاخْتِبَارِهِ ، لَجَأَ النبىُّ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا ، لأنهُ أَصْدَرَ حُكْمَهُ دُونَ أَنْ يَسْتَمِعَ لِكَلامِ الرجُلِ الآخَرِ ، وَنَدِمَ لأَنَّه خَصَّصَ أَيَّامًا مُحَدَّدَةً لِلْقَضَاءِ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ فِى وَجْهِ المَظْلُومِينَ فِى غَيْرِ أيامِ القَضَاءِ ، وَقَدْ أَمَرهُ اللهُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَاسِ فِى كُلِّ وَقْتٍ .

وأَوْحَى اللهُ تعَالَى : ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾

[ص : الآية ٢٦]

وَأَصْبَحَ بَابُ دَاوُدَ مَفْتُوحًا لِلْمَظْلُومِينَ وَالفُقَرَاءِ وَالمسَاكِينِ ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَهُ خَصْمَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : هَذَا الرَّجُلُ سَرَقَ بَقَرِى .

صَاحَ الآخَرُ بِتَوَسُّلٍ : لَمْ أَسرِقْ شَيْئًا يَا نَبِىَّ اللهِ . . أُقْسِمُ لَكَ أَنِّى بَرِىءٌ .

تَحَيَّرَ دَاوُدُ ، فَسَأَلَ الرجُلَ الأَوَّلَ : أَلَدَيْكَ دَلِيلٌ يُثْبِتُ صِحَّةَ كَلامِكَ ؟

قَالَ الرجُلُ : لاَ ، يَا نَبِىَّ اللهِ .

اشْتَدَتْ حَيْرَةُ دَاوُدَ ، وَخشِىَ أَنْ يُصْدِرَ حُكْمًا ظَالمًا ، فَأَمْهَلَ الخَصْمَيْنِ إِلَى اللَّيْلِ ، وعنْدَمَا حَلَّ اللَّيلُ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ، وَأَمرَهُ بقتْلِ صَاحِبِ البَقَرِ .

نَادَى دَاوُدُ الخَصْمَانِ ، وَقَالَ لِصَاحِبِ البَقَرِ : إِنَّ اللهَ أَمَرَنِى بقَتْلِكَ فَأَخْبِرْنِى بِأَمْرِكَ .

أَصَابَ الرَّجُلَ ذُهُولٌ شَدِيدٌ ، وَتَسَاءَلَ : أَيَسْرِقُ الرجُلُ بَقَرِى وَتَأْمُرُ بِقَتْلِى . . أَيْنَ العَدْلُ يَا نَبِىَّ اللهِ ؟ !

قَالَ دَاوُدُ : ذَاكَ أَمْرُ اللهِ ، وَلَنْ أَعْصِيَهُ فَأَخْبِرْنِى بِالذَّنْبِ الذى ارْتَكَبْتَهُ .

نَكَّسَ الرجُلُ رَأْسَهُ فِى الأَرْضِ خَجَلاً ، وَقَالَ : إِنَّنِى لَمْ أَكْذبْ عَلَيْكَ يَا نَبِىَّ اللهِ ، فَقَدْ سَرَقَ هَذَا الرجُلُ بَقَرِى لَكِنَّنِى قَتَلْتُ أَبَاهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يَرَنِى أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ .

أَمَرَ دَاوُدُ بقَتْلِ الرجُلِ تَنْفِيذًا لأَمْرِ رَبِّه ، وَعقَاباً لَهُ عَلَى سُوءِ فِعْلِه ، وَاشْتَدَّتْ هَيْبَةُ دَاوُدَ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ نَبِيَّهُمْ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِوَحْىٍ مِنْ رَبِّه الذى اخْتَصَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ .

خَشِيَ دَاوُدُ أَنْ يَتَفَرَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَخَذَ يُدَرِّبُ سُلَيْمَانَ عَلَى أُمُورِ الْمُلْكِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ لِيَتَعَلَّمَ أُمُورَ الْقَضَاءِ .

وَبَيْنَمَا سُلَيْمَانُ جَالِسٌ مَعَ أَبِيهِ ، إِذْ أَقْبَلَ خَصْمَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّنِي صَاحِبُ بُسْتَانِ عِنَبٍ ، وَقَدْ قُمْتُ بِرِعَايَتِهِ شُهُورًا كَثِيرَةً ، وَأَنْفَقْتُ عَلَيْهِ مَا أَمْلِكُ ، وَحِينَ نَضِجَتْ ثِمَارُهُ اقْتَحَمَتْ أَغْنَامُ هَذَا الرَّجُلِ بُسْتَانِي ، فَأَكَلَتْ ثِمَارَهُ ، وَأَتْلَفَتْ أَشْجَارَهُ .

الْتَفَتَ دَاوُدُ إِلَى صَاحِبِ الغَنَمِ ، وَسَأَلَهُ : مَا قَوْلُكَ ؟

صَمَتَ الرَّجُلُ قَلِيلاً ، ثُمَّ قَالَ : إِنهُ يَقُولُ الحَقَّ يَا نَبِيَّ اللهِ .

قَالَ دَاوُدُ : إِنَّكَ تَسَبَّبْتَ فِي خَسَارَةٍ فَادِحَةٍ لِصَاحِبِ البُسْتَانِ ، وَأَهْلَكْتَ مَالَهُ . . لِذَلِكَ حَكَمْتُ عَلَيْكَ بِأَنْ تُعْطِيهِ غَنَمَكَ تَعْوِيضًا لَهُ عَمَّا فَقَدَهُ .

لَكِنَّ سُلَيْمَانَ أَشْفَقَ عَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ ، وَرَقَّ قَلْبُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِوَالِدِهِ :

حُكْمُكَ يَا أَبِي عَظِيمٌ ، لَكِنَّنِي أَرَى حَلاًّ آخَرَ أَرْفَقَ بِصَاحِبِ الغَنَمِ .

قَالَ دَاوُدُ : قُلْ رَأْيَكَ يَا بُنَيَّ ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : يَأْخُذُ صَاحِبُ البُسْتَانِ الغَنَمَ ، وَيَأْخُذُ الرَّاعِي

البُسْتَانَ ، وَيَقُومُ الرَّاعى بإصْلاَحِ البُسْتَانِ ورعايَته ، بَيْنَما يَنْتَفعُ صَاحبُ البُسْتَان بأَلْبَان الأَغْنَام وَأَوْلاَدها ، وَعنْدمَا تَنْضَجُ ثمَارُ البُسْتَان وَيعُودُ لحَالَته الأُولَى يَسْتَردُّهُ صَاحبُهُ ، وَتُردُّ الغَنَمُ إلَى الرَّاعى بَعْدَ أنْ أَصْلَحَ خَطَأَهُ بنَفْسه .

أُعْجبَ دَاوُدُ برَأْى ابْنه وَرَجَاحَة عَقْله ، فَحَكَمَ بمَا قَالَ .

وَازْدَادَتْ مَكَانَةُ سُلَيْمَانَ فى نُفُوسِ بَنى إسْرَائيلَ ، وَنَالَ حُبَّهُمْ وَرضَاهُمْ .

* * *

عَاشَ دَاوُدُ مَعَ بَنى إسْرَائيلَ عَطُوفًا رَحيمًا بهمْ ، مُتَفَرِّغًا لعبَادَة رَبِّه وَرعَايَة شُئُونهمْ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ .

وَقَفَ سُلَيْمَانُ وَقَوْمُهُ يُوَدِّعُونَ نَبيَّهُمْ ، وَكَانَ الْجَوُّ خَانقًا ، وَالحَرَارَةُ شَديدَةً ، وَالعَرَقُ يَتَصَبَّبُ منْ أَجْسَامهمْ بغَزَارَة .

نَادَى سُلَيْمَانُ الطُّيُورَ التى سَخَّرَهَا الله لَهُ قَائلاً :

أَيَّتُهَا الطُّيُورُ . . اصْطَفى وَأَظلِّينَا .

وَأَقْبَلَت الطُّيُورُ منْ كُلِّ مَكَان ، والْتَصَقَتْ ببَعْضهَا حَتَّى صَارَت كَمظَلَّة كَبيرَة جدًّا فَوْقَ رُءُوسِ الْقَوْمِ تَحْميهمْ منْ أَشعَّة الشَّمْس الملْتَهبَة ، وَهَبَّ النَّسيمُ العَليلُ فَأَصْبَحَ الجوُّ لَطيفًا مُنْعشًا .

تَوَلَّى سُلَيْمَانُ مُلْكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَاخْتَصَّهُ رَبُّهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَأَفْهَمَهُ لُغَةَ الطَّيْرِ .

وَجَمَعَ سُلَيْمَانُ قَوْمَهُ ، وَخَطَبَ فِيهِم قَائِلاً :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. لَقَدْ عَلَّمَنِى اللهُ لُغَةَ الطُّيُورِ ، وَوَهَبَنِى الْعِلْمَ وَالحُكْمَ ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ مَلِكًا عَلَيْكُم فَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ .

أَصْغَى الْقَوْمُ إِلَى وَعْظِ نَبِيِّهِمْ ، وَوَعَدُوهُ بِالطَّاعَةِ ، وَحُسْنِ العِبَادَةِ .

• • •